الاحتلال المغولي لبغداد (656هـ /1258م)
قراءة تحليلية لعوامل انهيار الدولة العباسية

أ.م.د داود سلمان خلف الزبيدي
كلية التربية / ابن الرشد

مختصر البحث :

الهدف من الدراسة الموسومة بـ ((الاحتلال المغولي لبغداد (656 هـ / 1258م) قراءة تحليلية لعوامل انهيار الدولة العباسية)) كما مشار إليه في عنوانها قراءة تحليلية للحوادث والوقائع التي أشارت إليها المصادر التاريخية على وفق مناهج البحث العلمي وتحت ضوء قراءة فلاسفة التاريخ للأحداث والوقائع تلك المناهج والقراءات التي تتيح للباحث قراءة السابق من الأحداث على ضوء قراءة اللاحق منها لمحاولة الوصول لمعرفة الحقائق والشاهد على ذلك أن التاريخ صنعته كتل بشرية متحركة على المكان عبر الزمان مؤثرة ومتأثرة بعوامل كثيرة ذاتيه أحياناً وخارجية أحياناً أخرى ومؤ طره بضوابط السنن الكونية وشواهدها في كتاب الله القرآن الكريم كثيرة . وقد خلصت الدراسة إلى أن الحديث - كما هو عند الكثير من المؤرخين - عن سبب مباشر أو عامل واحد لانهيار الدول غير دقيق وبحاجة إلى إعادة قراءة .

Abstract Paper

The aim of the study that named ((The occupation of Baghdad by the Mongols year (656AH\1258AD) and rewrite analysis the incidents end of the state Abbasid)) as it referred in the head line reading the analysis of the accidents incidents referred to the historical sources according to research Methodology and under the reading light philosophers of history of the events and the facts of those visions that allows the researcher to read the previous events on the reading light for an attempt to know the facts and we saw the history is created blocks comics on human influential place across time and influenced by many factors external self sometimes at other times surroundings by standard of sunan with cosmic situation in Muslims book (The Holy Koran) are many. And the studies end that is the talk as if in many of historian about the direct reason of one factor for the collapse of the state isn't accurate and it needs to re-read .

المقدمة :

ليس الهدف من الدراسة الآتية إعادة تسطير الحدث الأبرز في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وهو احتلال بغداد على يد المغول سنة (656 هـ /1258 م) وإعادة كتابة حوادث نهاية الخلافة العباسية في بغداد مع نهاية الخليفة المستعصم بالله العباسي (640 هـ /1242 م – 656هـ / 1258 م) إذ أشبعت المصادر التاريخية الإشارة إلى ذلك .

نشير إلى بعض منها لمن ينشد المراجعة [1] كما إن منهجنا لن ينحى هنا المنهج السردي في التدوين إذ إن المنهج السردي للحوادث لن يجدي نفعا لتحقيق غاية البحث وهي محاولة الوصول إلى العوامل المتعددة التي اسهمت في الوصول لما وصلت إليه الحال في تلك الوقعة المؤلمة لكل إنسان يعشق بغداد ويعشق الحضارة .

إن إفاضة كثير من المصادر والمراجع في الكتابة والتحليل في الحوادث التاريخية وما رافقها من حوادث كانت سببا أم نتيجه للحدث أوقعت المتلقي في حيرة من أمره عندما صورت له أن احتلال بغداد كان نتيجة لخيانة وزير الخليفة العباسي آنذاك وهو مؤيد الدين ابن العلقمي (ت 656 هـ /1258 م)[2] لما كان من أثر لاحتلال المغول لبغداد إذ بدت سمات المرحلة آنذاك مؤثرة في الجوانب السياسية والاجتماعية للمجتمع الإسلامي بصورة عامة والمجتمع العراقي والبغدادي بصورة خاصة .

إن قراءة تحليليه للحوادث والوقائع المشار إليها خلال تلك المصادر على وفق مناهج البحث العلمي وفي ضوء قراءة فلاسفة التاريخ للأحداث والوقائع تلك الرؤى التي تتيح للباحث قراءة السابق من الأحداث على ضوء قراءة اللاحق منها في إحدى النظريات لمحاولة الوصول لمعرفة الحقائق [3] وشاهدنا في ذلك أن التاريخ صنعته كتل بشرية متحركة على المكان عبر الزمان مؤثرة ومتأثرة بعوامل كثيرة ذاتية أحيانا وخارجية أحيانا أخرى كان لها الأثر الكبير لما سطرته المؤلفات من وقائع . إن مشاهداتنا ونحن نعيش الحاضر ونحاول قراءته منطلقين من الدوافع السلوكية ذاتها في تحديد مواقفنا تجاه الأحداث الحاصلة في الزمن السابق تعطي صورة واضحة المعالم لما حصل آنذاك لأن التاريخ نتاج الإنسان .

وهنا نستعير النص الآتي لعماد الدين خليل من خلال قراءته الفلسفية للقرآن الكريم إذ يقول :

((انه يتنقل بحرية بين الأزمان الثلاثة ... يلغي الحواجز ويزيل المتاريس , ويمضي يحدثنا عن وقائع الكون والحياة والعالم ... الماضي وكأنه يتخلف أمام أعيننا ... الحاضر كأنه ممتد ماضيا ومستقبلا ...فلا أول له ولا انتهاء)).[4]

ومن هنا يتضح لنا انه ثمة سننا وقوانين تتحكم في بناء هذا الكون بإحاطة كلية ومنها قيام الدول وأفولها ،قال تعالى : ((وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ)) [5] .

لسنا هنا في مجال دراسة التأريخ على وفق المنظور الديني ولكن النصوص القرآنية السابقة للحدث الذي نحن بصدد دراسته بأكثر من ستة قرون تؤكد عقليا وبما لا يقبل الشك أن عوامل النهوض والانتكاس وتحديد قوانينها هي التي تسير الأحداث لعدم قدرة الإنسان على مواجهة تلك العوامل بسبب ضعفه وعدم قدرته على الصمود أمام المغريات الدنيوية وموجات التسلط ومقاومة الإغراءات المادية بالرغم من التفويض الإلهي للإنسان لعمارة الأرض ((إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)) [6]

((إن خلافة الله سبحانه على الأرض التي حملها الإنسان لم تكن لكون الإنسان مجرد كائن حي بل كانت له منزلة رفيعة ميزته من غيره وهو بذلك يمتلك الحق في استخدام كل شيء في هذا العالم)). [7]

إلا أن الإنسان كان ضعيفا ولم يقو على حمل تلك الأمانة . قرأ فلاسفة المسلمين خلافة الإنسان على وفق المعايير التي حددتها السماء من خلال قراءتهم لتلك السنن والقوانين وشاهدهم في ذلك القرآن الكريم من خلال سوره التي أشارت للأمم القديمةوالى أهمية العوامل الاجتماعية والاقتصادية في ديمومة,واستمرارتلك الدول وانهياراتها [8].

إن ضعف الإنسان وجهله جعله يتحمل المسؤولية لأنه يتحرك بموجب سلوكيات حددتها له السماء كذلك فهو يتحرك بموجب سلوكيات حددها لنفسه فمتى ما تقاطعت سلوكياته مع قوانين الخالق كان الانهيار، قال تعالى :

((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)) [9] . وهنا تلتقي المناهج والسنن الكونية مع المناهج الوضعية لتحديد حركة الإنسان.

ومما تقدم نسمح لأنفسنا الحركة ضمن إطارين : احدهما ارتباط الإنسان بالمحيط الذي يعيش فيه ، والأخر المجهول -المصير-الذي لم يتخلص الفلاسفة من عقدة البحث لمواجهته بحثا عن الخلاص [10]

وبعد ذلك نقول إنه لا يمكن الحديث عن سبب مباشر أو عامل واحد يتمثل في غفلة في زمن محدد أو خيانة لفتح أسوار وما سوى ذلك من عوامل تمثل سببا مهما في انهيار دولة ، انه حديث غير دقيق وبحاجة إلى إعادة قراءة ، وبحث معمق ، وأن الإجابات ستكون من خلال المصادر ذاتها إذ إنها ذاتها تحمل الكثير من الشواهد التي كانت أسبابا متعددة لانهيار الدولة وخلال قرون متقدمة على القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

سنحاول هنا استعارة الاطروحات الخلدونية حول نشأة الدولة وافولها والعوامل المؤثرة بذلك وهي اطروحات استلهمت النص القرآني خطابا مباشرا أو غير مباشر كما أنها استلهمت اطروحات فلاسفة المسلمين وغير المسلمين فضلا عن تحليل السلوك البشري المباشر من خلال دراسة سلوك العرب والبربر والتتار .

إن أطروحة ابن خلدون (ت 808 هـ /1406 م) بأن الدولة تحمل بذرة فنائها [11].تؤكد أن ثمة سلوكيات تنشأ مع نشأة الدولة تكون سببا في نهايتها لاحقا .

استطاع العرب التغلب على سواهم من الأمم القديمة التي شكلت إمبراطوريات العالم آنذاك الروم وفارس والحبشة من خلال الامتزاج بين الفكر الديني الذي حدد الهدف و السلوك وبين السلوك الاجتماعي الذي اتخذ من التقشف منهجا والشجاعة سلوكا وفي ذلك يقول إبن خلدون :

((اعلم انه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة ... لا جرم كان هذا الجيل الوحشي أشد شجاعة من الجيل الأخر فهو اقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الأمم)) [12].

وبعد الغلبة والتغلب يبين لنا ابن خلدون عوامل الضعف ومسببات الانهيار ونستعير النص الآتي للإشارة إلى واحد منها :

((... فأن عوارض الترف والغرق في النعيم كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب وإذا انقرضت العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة والتهمتهم الأمم سواهم فقد تبين أن الترف من عوائق الملك والله يؤتي ملكه من يشاء)) [13] .

وهنا يحدد لنا عاملا آخر من عوامل الانهيار السياسي للدولة بقوله :

((إن من عوائق الملك المذلة للقبيل والانقياد إلى سواهم وسبب ذلك أن المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدتها فأن انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها ...)) [14] .

وهو في ما يأتي يحدد بصورة لا تقبل النفي- مقولته أنفة الذكر- أهم أسباب فقدان العباسيين قدرتهم على إدارة الدولة بقوله :

((... فأن عصبية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك إنما كان بالموالي من العجم والترك والديلم والسلجوقية وغيرهم ، ثم تغلب العجم الأولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة فلم تكن تعدو اعمال بغداد حتى زحف إليها الديلم ، وملكوها ، وصار الخلائق في حكمهم ، ثم انقرضت وملك السلجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم ثم انقرض أمرهم وزحف آخر التتار فقتلوا الخليفة ومحو رسم الدولة . [15]

وفي النص الآتي الذي يحمل تكرارا لبعض ما تقدم الا انه لا يخل بمنهجية البحث فهو من باب المقدمة لبيان عامل اخر ومهم من عوامل انهيار الدولة ان((الملك انما يحصل بالتغلب و التغلب انما يكون بالعصبية واتفاق الاهواء على المطالبة وجمع القلوب وتأليفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه, قال تعالى لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم[16] وسيرة ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرفت الى الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس ، وقل الخلاف ، وحسن التعاون ، والتعاضد ، واتسع نطاق الكلمة لذلك ، فعظمت الدولة))[17] .

وهنا نورد سببا اخر من اسباب الانهيار اذ يفرد ابن خلدون فصلا في مقدمته تحت عنوان ((الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة اقلب الدولة على الهرم)) [18] .

ومن الاسباب المهمة لديمومة الدولة قوة اقتصادها وعكسه يمثل عاملا من عوامل انهيارها [19] .

ان كثرة الترف والصرف يدعو الى زيادة الجباية مما يؤدي الى فرض الضرائب والمكوس وارهاق الرعية مما يسبب في كساد الاسواق واختلاف العمران الى ان تضمحل الدولة [20]

ومن اهم الاسباب المؤدية للانهيار: الظلم و انعدام العدل وسياسة الناس على وفق الاسس الشرعية التي حددتها الضوابط الشرعية للمؤسسة الاسلامية الاولى التى كانت بنيان الدولة وفي ذلك يقول ابن خلدون ما نصه: ((ان الظلم مؤذن بخراب العمران)) [21] .

سبب اخر نراه مهما وقد اشره لنا فلاسفة المسلمين وقد اشار اليه ابن خلدون وهو تشرذم الدولة وانقسامها وجعله سببا مهما من اسباب احتلال بغداد وهو قيام الدول الاسلامية الكبرى وهي الدولة الاموية بالاندلس وما نتج عنها والدولة الفاطمية في مصر وما نتج عنها ايضا [22] .

ومن الاسباب الاخرى ((كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل او وقوع الوباء)) [23] . اما التنازع والتخاصم فكان له نصيب مهم في الاشارة الى جملة اسباب التدهور لدولة العباسيين وعلامة من علامات انهيارها في زمن متقدم ومنذ تأسيس تلك الدولة إذ يقول :

((وجاء بنوالعباس فغضوامن أعنة بني هاشم وقتلوا الطالبيين وشردوهم فأنحلت عصبية عبد مناف وتلاشت)) [24] .ان ما تلاشى من اسباب القوة و المنعة عند العرب قد ولد ونما عند االتتار فكان سببا مهما من اسباب قوتهم وغلبتهم على من سواهم من الامم ومنها امة العرب والاسلام ، ومصداق قولنا قول ابن خلدون [25] : ((اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع وذلك لانها اقدر على التغلب و الاستبداد .... واستعباد الطوائف لقدرتهم على محاربة الامم سواهم ولانهم ينزلون من الاهليين منزلة المفترس من الحيوانات العجم)) . كذلك قوله :

((ولا وثوق في الحرب بالظفر وان حصلت اسبابه من العدة والعدد وانما الظفر فيها و الغلب من قبيل البحث والاتفاق وبيان ذلك ان اسباب الغلب في الاكثر مجتمعة من امور ظاهرة وهي الجيوش ووفورها وكمال الأسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف ومنه صدق القتال وما جرى مجرى ذلك من امور خفية ...)) [26]

كذلك قوله في معرض رده على رؤية الطرطوشي (ت 520 هـ /1126م) الذي يرى إن أسباب النصر في الحرب تفضيل عدة الفرسان المشاهير من الشجعان في احد الجانبين على عدتهم في الجانب الآخر .
يرى ابن خلدون أن ذلك ((ليس بصحيح وانما الصحيح المعتبر في الغالب حال العصبية ان يكون احد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الآخر عصائب متعددة لان العصائب اذا كانت متعددة يقع بينها من التخاذل ما يقع في الوحدان والمفترقين الفاقدين للعصبية تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة لا يقاوم الجانب الذي عصبته واحدة [28].
وهنا نجد أن قراءة ابن خلدون للأحداث والوقائع كانت قراءة معمقة بعيدة كل البعد عن التفرد بالقاء المسؤولية على احد كما فعل الكثيرمن المؤرخين[29]
انه درس ضعف دولة العباسيين من خلال قراءته المعمقة للقرآن الكريم ونواميسه كما قرأ الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للعرب المسلمين من جهة وللتتار من جهة اخرى لذلك كان صائب الرؤية في تحديد السبب لان الامة الاسلامية تغاضت عن شرائط ديمومتها مما مهد السبيل لغيرها امتلاك تلك الشروط لتحقيق ارادة الله سبحانه . وهو القائل جل وعلا(وتلك الايام نداولها بين الناس)[30]
((اذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)) [31]
ومما تقدم نجد ان دولة بني العباس قد اصابها التصدع والانحراف عن خط الشروع الذي كان (الرضا لآل محمد) عنواناً [32] كما ان الدولة أكلت رجالاتها والقائمين بها [33]
كما انها اكلت رجالات البيت العباسي انفسهم [34] والعلويين [35] وعاد النهج الوراثي في طبيعة نظام الحكم [36] ليكون خط العباسيين خطاً سياسيا امويا وان اختلف السلوك مما جعل الفصل بين ما كانت عليه دولة الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) وبين دولتي الامويين والعباسيين قائماً واضحاً بيناً إذ كلما تطورت الدولة حضارياً كلما كان الفسق والجور في السياسة والجباية وقمع الاخر كيفما كان هذا الاخر ومن اي اتجاه كان (ديني ، عنصري، مذهبي ، سياسي) فضلا عن الاسراف في البذخ والتبذير مما أسهم في الانحلال الاجتماعي وبالتالي تصدع القيم الأساسية التي هي قوام الدولة .
وسنشير الى بعض الشواهد والنصوص التاريخية للدلالة على ما تقدم ، مع الاشارة الى ان تقديم ابن خلدون زمنياً كان من مقتضيات البحث وليس خللاً منهجياً اذ كانت رؤيته وطروحاته نتاج دراسة من تقدمه من فلاسفة المسلمين ومؤرخيهم واشارتنا في مايأتي انما للدلالة على انه لم يكن السبب لنهاية الدولة العباسية سبباً واحداً انما هي عوامل مجتمعة وتراكمات فكرية وسلوكية يتحمل وزرها الحاكمية والرعية في آن واحد .
ان الدولة العباسية كانت آنذاك قد فقدت مقوماتها بوصفها دولة فلم تكن وحدة النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي متحققه وسنترك للنصوص الآتية الحديث عن حال الخلافة آنذاك وما آلت اليه احوال الخلفاء والرعية من حال الى حال اسوء .
يوثق لنا هلال الصابئ (359 هـ /969 م – 448 هـ / 1056 م) في كتابه رسوم دار الخلافة احوال الخلافة انذاك وكتاباته تحمل الكثير من المصداقية كونه معاصراً لما ينقله من احداث ،فضلا عن قربه من الخلافة .
نقتبس من مؤلفه آنف الذكر النصوص الأتية لما تحتويه من شواهد كثيرة على سوء حال الدولة انذاك من حيث الانشغال بالترف والصرف مع هوان هيبة الخلافة والخراب الحاصل في العمران مع الاعتماد على الاجانب ومخالطتهم العائلة العباسية من خلال العيش في قصور الخلافة مقارناً تلك المدة مع ما كانت حال الدولة العباسية ايام الرشيد (170 هـ / 786 م -193 هـ / 808 م) من قوة سياسية واقتصادية .
من جملة إشاراته المهمة قوله :
((فاما ارتفاع الممالك ، كانت ايام الرشيد صلوت الله عليه ، فذكر الريان بن الصَلت ، ان ابا الوزير ابن هانئ المروزي الكاتب , وكان على ديوان الخراج ، قال :ان يحيى بن خالد بن برمك ، امره ان يخرج وضائف الآفاق في سنة تسع وسبعين ومائة فكانت جملة ذلك على تفصيل فصله بالورق (الدراهم الفضة) ثلثمائة الف الف وثمانية وثلاثين الف الف وتسعمائة الف وعشرة الآف درهم . وبالعين خمسة الاف الف وثمانمائة الف ونيف وثلاثين الف دينار [37] .
اما حين اختلفت الحال وضعفت الخلافة فيقول واصفاً دار الخلافة في عهد القائم بأمر الله (422 هـ / 1030 م - 467 هـ / 1074م))) كانت داراً عظيمة السعة وعلى اضعاف ماهية عليه الان من هذه البقعة الرائعة ، ودليل ذلك انها كانت متصلة بالحير والثريا ومسافة ما بينهما اليوم بعيدة ، وانما انفصلا عنها وطال مداهما منها ، بما اتى عليه الحريق والهدم من الدور والمنازل والبنيان والعمران من الفتنه عند خلع المقتدر بالله صلوات الله عليه

وعوده ، والقبض على القاهر بالله وقتل المكنى ابى الهيجاء بن حمدان ، وما بعدها من الفتن المترادفة بالأيدي المتخالفة ، فان ذلك استهلك الشطر الاكبر منها ومن بعض امورها ، ان كان فيها مزارع وأكره ، وعوامل برسمها واربعمائة حمام لمن تحويه من اهلها وحواشيها , فأما في ايام المكتفي بالله (289 هـ / 901م – 295 هـ / 907 م) صلوات الله عليه ، فأنها اشتملت على عشرين الف غلام دارية (حماية الخليفة) وعشرة الاف خادم سوداًوصقالبة . واما في ايام المقتدر بالله صلوات الله عليه , فالاجماع واقع على انه كان فيها احد عشر الف خادم منهم سبعة سوداً واربعة صقالبة بيضاً واربعة الاف امرأة بين حرة ومملوكة ، والوف من الغلمان الحجرية . وكانت النوبة ممن يرسم بحفظ الدار من الرجالة والمصافية (الجنود المحاربون من الرجالة والخيالة) خمسة الاف رجل ، ومن الحراس اربع مائة حارس , ومن الفراشين ثمانمائة فراش ، وكانت شحنة البلد برسم نازوك اختل سنة 317هـ / 929 م صاحب المعونة اربعة عشر فارس وراجل [38] .كما اشار ايضا من مظاهر الترف والبذخ في موضع كثيرة من مؤلفه وكذلك سوء الادارة [39] .

ولنا في نصوص ابن العبري (ت 685 هـ / 1286 م) وهو قريب ومعاصر للاحداث اذ يورد لنا ادلة كثيرة على ان بغداد لم يحتلها المغول لسبب واحد بل كانت عليلة مريضة تنازع مترنحة تعاني من عوامل عدة فهو يصور لنا حال الخلافة ، خليفة ، ورعية , مكاناً وزمناً تصويراً ينطق عن عقل متدبر عاقل بالامور وهو النصراني وليس المسلم اذيقول :

((وفي سنة اربعين وستمائة بويع المعتصم يوم مات ابوه المستنصر وكان صاحب لهو وقصف شغف بلعب الطيور واستولت عليه النساء وكان ضعيف الرأي قليل العزم كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول وكان اذا نبه على ما ينبغي ان يفعله في امر التاتار اما المدارات والدخول في طاعتهم وتوخي مرضاتهم او تجييش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق فكان يقول: انا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها لي اذا نزلتهم عن باقي البلاد ولا ايضاً يهجمون علي وانا بها وهي بيتي ودار مقامي . فهذه الخيالات الفاسدة وامثالها عدلت به عن الصواب فأصيب بمكاره لم تخطر بباله)) [40] .

عندما نحلل هذا النص تبدو أهمية رؤية المؤرخ المعاصر للحدث والموضوعي في قراءة الاحداث واضحة بين ثنايا كتاباته اذ لا حاجة لنا لبذل اي مجهود لإضافة شيء لما سطرته كلمات مؤرخنا آنذاك .

ان قراءة نص رسالة هولاكو الى الملك الناصر صاحب حلب سنة سبع وخمسين وستمائة وقد وثقها لنا ابن العبري تدلل بما لايقبل الشك او التأويل على افول نجم دولة بني العباس وشروق شمس التتار وفقا للسنن الكونية المشار اليها في مقدمة البحث وأنه لا يمكن ان يكون لعامل واحد السبب في نهاية حكم العباسيين على العراق وانهيار ملكهم وما نتج عنه من دمار وخراب وقتل في بغداد خاصة وللعالم الاسلامي عامة وفي ما يأتي نص الرسالة :

((يعلم الملك الناصر اننا نزلنا بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة وفتحناها (بسيف الله تعالى) واحضرنا مالكها وسألناه مسألتين فلم يجب لسؤالنا فلذلك استوجب منا العذاب كما قال في قرآنكم ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم [41] . وصان المال فآل الدهر به الى ما آل . واستبدل النفوس النفيسة بنقوش معدنية خسيسة وكان ذلك ظاهر قوله تعالى: (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً) [42] . لاننا قد بلغنا بقوة الله الارادة . ونحن بمعونة الله في الزيادة . ولا شك ان نحن جند الله في ارضه خلقنا وسلطنا على من حل عليه غضبه . فليكن في ما مضى معتبر . وبما ذكرناه وقلناه مزدجر , فالحصون بين ايدينا لاتمنع . والعساكر للقائنا لاتفد ولا تنفع . ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع فاتعضوا بغيركم ...))[43]

وممن له قولٌ في احتلال المغول لبغداد وبيان اسبابه ويؤيد مانذهب اليه ابن الطقطقا (ت 709 هـ / 1309 م) اذ يصف الخليفة انذاك بقوله :

((كان المستعصم رجلاً خيراً متديناً لين الجانب سهل العريكة عفيف اللسان حمل كتاب الله تعالى ،وكتب خطاً مليحا ، وكان سهل الاخلاق ، وكان خفيف الوطأة الا انه كان مستضعف الرأي ضعيف البطش قليل الخبرة بأمور المملكة مطموعاً فيه غير مهيب في النفوس ولا مطلع على حقائق الامور وكان زمانه ينقضي اكثره بسماع الاغاني والتفرج على المسافرة ، وفي بعض الاوقات يجلس بخزانة الكتب جلوساً ليس فيه كبير فائدة وكان اصحابه مستولين عليه ...) [44]

ومن الكلمات التي لا تحتاج الى دراسة وتحليل ما سطره الاشرف الغساني (ت 803 هـ / 1400 م) عن حوادث سنة 655 هـ / 1257 م فهي تغني الباحث الحصيف من خلال قدرة كاتبها على وصف حال العلم الاسلامي عشية احتلال بغداد اذ يقول :

((قصد ملك الارض هولاكو اعمال العراق فجمع الجموع وانفذ رسله الى الديوان منذراً ومحذراً وموعداً ومتوعداً وإلتمس ان يدخل اهل العراق جميعهم في طاعته وانفاذ الجواب عن ملتمسه ، وكان المستعصم خلياً من الرأي ... وأهتموا بالاقطاعات والمكاسب اهملوا النظر في المصالح الكلية واشتغلو بما لا يجوز من الامور الدنيوية واشتد ظلم العمال واشغلوا بتحصيل الاموال والملك قد يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم وقال عبد القاهر بن القرضي وكان يومئذ كاتب ديوان العرض :

ياسائلي ولمحض الخير يرتاد	اصخ فعندي نشدان وانشاد
واسمع تجد لي روايات تحققتها	ذا راية واحاديث واسنـــاد
فهم ذكي وقلب حاذق يقض	وخاطر لنفوذ النقد نقـــاد
عن فتية فتكو في الدين وانتهكو	حماه جهلا برأي فيه افساد
اما الوزير فمشغول بعنبره	والعارضان فنساخ ومداد
وحاجب الباب طوراً شارب ثمل	وتـــارة هو جنكي وعواد
ومشرف الدست مغرى باللواط له	في كل زاوية علق وعواد
وشيخ الاسلام صدر الدين همته	مقصورة لحطام السحت تصطـــاد
غذته باللؤم اباء سواسية	ماسودوا في الورى يوما ولا سادوا
ياضيعة الملك والدين الحنيف وما	تلقاه من حادثات الدهر بغـــــداد[45]

وهنا نجد من ضروريات البحث الاشارة الى رسالة نصر بن سيار والي الامويين على خراسان الى الخليفة الاموي الاخير مروان بن محمد (127هـ / 744 م -132 هـ / 749 م) اذ ضمنها ابيات من الشعر اشار فيها الى خطورة ما يتهدد الدولة آنذاك ومن مقدمات ضياع دولة الامويين وما يضمره لهم بنو العباس ومع اختلاف العوامل ومسببات التغيير الا ان الحال كان واحداً وهو ان الدولة قد افل نجمها [46]

ومما لابد من الاشارة اليه مجملا هنا بوصفه عوامل اضافية تشكل اهمية في تدهور حال الخلافة عامة واحوال عاصمتها بغداد خاصة ماسطرته الكثير من المصادر التأريخية عن احوال بغداد خلال السنين العشر الاخيرة من عمر الخلافة العباسية من ترادف للفيضانات وانهدام الدور وتلف المحاصيل الزراعية وغلاء الاسعار وما نتج عن الفيضانات من اوبئة وانقطاع الارزاق فضلا عن الحرائق والزلازل الطبيعية والفتن الكثيرة واطلاق يد العيارين في احوال الناس واملاكهم [47] .

ومن الاسباب المهمة الاخرى لتردي اوضاع الخلافة عدم الاهتمام بالجند وارزاقهم ففي ذات الوقت الذي تسرف وتبذخ فيه مؤسسة الخلافة الا ان الجند كانوا قد اسقطت اسماؤهم من الديوان وذهب اكثرهم الى بلاد الشام ففي حوادث 650 هـ / 1252 م يذكر صاحب كتاب الحوادث ما نصه :

((وفيها ، فارق كثير من الجند بغداد لانقطاع ارزاقهم ولحقوا ببلاد الشام)) [48]

ويشير في موضع اخر الى ما وصل اليه حال الجند اذ يقول :

((وكان الخليفة قد اهمل حال الجند ومنعهم ارزاقهم واسقط اكثرهم من دساتير ديوان العرض ، فآلت أحوالهم الى سؤال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الاسواق والجوامع ونظم الشعراء في ذلك الاشعار)) [49]

ولعل الذي يمنح ما ذهبنا اليه قوة اكثر من ان الدولة العباسية كانت آيلة للافول ما نقله السيوطي بقوله :

((قال المؤرخون : في دولة بني العباس افترقت كلمة الاسلام , وسقط اسم العرب من الديوان , وادخل الاتراك في الديوان , واستولت الديلم , ثم الاتراك وصارت لهم دولة عظيمة وانقسمت ممالك الارض عدة اقسام ، وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ، ويملكهم بالقهر)) [50] ومن المتناقضات التي نجدها عند المؤرخين ما وقع فيه السيوطي فبعدما وقفنا على نصه السابق نجده ينقل نصاً يؤكد فيه ماذهب اليه . وفي نص آخر يحمل ابن العلقمي عاقبة ما حصل للخليفة ولبغداد وسنترك الحديث للنصوص الآتية :

ينقل السيوطي بسنده ان للمستنصر العباسي (623 هـ / 1226 م – 640 هـ / 1242 م) اخاً يعرف بالخفاجي يزيد عليه في الشجاعة والشهامة ... ثم يقول : ((فلما توفي المستنصر لم يرَ الدويدار والشرابي والكبار تقليد الخفاجي الامر ، وخافوا منه ، وآثروا المستعصم للينه وانقياده ؛ ليكون لهم الامر ؛ فأقاموه)). [51]

ويردف بعد ذلك قائلاً : ((ثم ركن المستعصم الى وزيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي ، فأهلك الحرث والنسل ، ولعب بالخليفة كيف اراد ، وباطن التتار وناصحهم واطمعهم في المجيء الى العراق ، وأخذ بغداد ، وقطع الدولة

العباسية ليقيم خليفة من آل علي ، وصار اذا جاء خبر منهم كتمه عن الخليفة ، ويطالع باخبار الخليفة التتار الى ان حصل ما حصل)).[52]

مع جلَ احترامنا وتقديرنا للامام السيوطي فهو رجل فقيه ومحدث ومؤرخ جليل الا ان رؤية الامور بعين واحدة لا تصور الاحداث وتنقلها للاجيال اللاحقة بموضوعية .

ان كل ما تقدم من نصوص المؤرخين خلال البحث كانت قد اشارت بأن كل مؤشرات انحطاط كيان الدولة واضحة ولسنا هنا بموضع تخوين جهة او تبرئة جهة اخرى ولكن دراسة التاريخ دراسة موضوعية تحتم على الباحث دراسة الوقائع والحوادث من خلال الدوافع والمؤثرات التي احاطت بها .

ومما نجده مناسباً الاشارة هنا الى رؤية ابن الطقطقا بعد عرضه لحال الخلافة اشارته الى عدم صواب القول بخيانة الوزير ابن العلقمي وتحالفه مع المغول ضد ابناء دولته وارباب نعمته اذ يقول :

((ومن اقوى الادلة على عدم مخامرته (خيانته) سلامته في هذه الدولة . فأن السلطان هولاكو لما فتح بغداد وقتل الخليفة سلَم البلد الى الوزير واحسن اليه وحَكمه فلو كان قد خامر على الخليفة لما وقع الوثوق اليه)) [53]

وختاماً نجد ان ما تقدم من نصوص تأريخية ورؤى معاصرة وقريبة من الحدث للمشار اليهم من المؤرخين تكفينا مؤونة الاطالة والافاضة في الحديث وتوثيق النصوص التي تشير الى العكس مما ذهب اليه من حدد مقتل الخليفة المستعصم بعد احتلال بغداد على يد المغول قد كان بفعل خيانة بعضهم او بسبب قوة المغول بحسب.

ان الحتمية التاريخية تؤسس لعوامل متعددة كانت السبب في احتلال بغداد آنذاك . واذا كان بعض مؤرخي الغرب وفلاسفته [54] يحاول دراسة الحضارات عامة على مر العصور والحضارات الحية خاصة في محاولة لإطالة عمر الحضارة الغربية الا ان اغلب مؤرخينا المعاصرين وللأسف يقتبسون من التأريخ العربي الاسلامي ما يؤكد ويثبت تخلف الامة الحضاري ويعمل على دق اسفين الفرقة والاختلاف - العامل المهم – في النكبات التي تتعرض لها امة العرب والمسلمين.

ان هذا البحث محاولة لايصال رسالة مفادها ان دراسة عوامل الانحطاط والتدهور [55] التي مرت بها الامة العربية الاسلامية لابد منها لتجاوز المحن والعواصف السياسية والاجتماعية التي تمر بها وذلك متى ما اتعضت من اخطاء الماضين إذ أن الانسان الفرد مهما حاول تسخير الاخرين لخدمة اغراضه ومطامحه فإنه إلى زوال ولكن التأريخ الإنساني باق بقاء الإنسان على هذه الأرض .

الهوامـش

1- ينظر : الصابئ ، ابو الحسين هلال بن المحسن (ت 448 هـ/ 1056م):رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، دار الرائد العربي (بيروت 1986) ص 22-26 ؛ ابن العبري ، غريغوريوس ابو الفرج بن هارون (ت 685 هـ/ 1286م) : تاريخ مختصر الدول ؛ دار الرائد اللبناني (بيروت 1983) ص 438 - 490 ؛ مؤلف مجهول (ت القرن الثامن الهجري) : كتاب الحوادث (وهو الكتاب المسمى وهماً بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة والمنسوب لابن الفوطي ، تحقيق ، د.بشار عواد معروف و د. عماد عبد السلام رؤوف (قم 1383 هـ) ص 181 -376 ؛ ابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709 هـ / 1309 م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر (بيروت لا ت) ص 333 -339 ؛ ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل (ت 732 هـ / 1331 م) : المختصر في اخبار البشر (تاريخ ابي الفدا) دار المعرفة (بيروت لا ت) ج 3 ص 193 – 194 ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748 هـ / 1444م) : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام تحقيق د . عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ط2 (بيروت 2002) حوادث سنة (651 - 660 هـ)ص 258 – 262 ؛ ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت 749 هـ / 1445 م) : تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية (بيروت 1996) ج2 ص 189-209 ؛ ابن تغري بردى ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت 874هـ / 1469 م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية (بيروت 1999)ج7 ص 42-53 ؛ الاشرف الغساني ، اسماعيل بن العباس بن رسول (ت 803 هـ/1400م): العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم ، دار التراث الاسلامي ودار البيان (بغداد 1975 م) ص 509- 645 ؛ البدليسي ، الامير شرف خان(ولد سنة 949هـ وانتهى تاليف الكتاب سنة 1005هـ) : شرفنامه ، ترجمة محمد جميل الملا احمد الروز بياني ، مؤسسة موكرياني ط2 (اربيل 2001) ص 130 – 131 ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ / 1505 م) : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الشرق الجديد ، بغداد / دار العلوم الحديثة (بيروت 1952 م) ص 464- 477 ؛ الشافعي العاصي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت 1111 هـ / 1699 م) : سمط النجوم العوالي في ابناء الاوائل و التوالي ، تحقيق عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية (بيروت 1998 م) ج3 ص516 – 533 .

2- مؤيد الدين ابو طالب محمد بن احمد بن العلقمي ، اسدي , اصله من النيل ، وقيل لجده العلقمي لانه حفر النهر المسمى بالعلقمي ... اشتغل في صباه بالادب ففاق فيه ، كان رجلاً فاضلاً كاملاً لبيباً كريماً وقوراً محباً للرياسة كثير التجمل ، رئيساً متمكناً بقوانين الرياسة خبيراً بادوات السياسة لبق الاعطاف بآلات الوزارة ، وكان يحب اهل الادب ويقرب اهل العلم ، اقتنى كتب كثيرة نفيسة ، كان عفيفا عن اموال الديوان واموال الرعية ، متنزهاً ، مترفقاً ، كان خواص الخليفة جميعهم يكرهونه ويحسدونه , وكان الخليفة يعتقد فيه ويحبه ، وكثروا عليه عنده ، فكف يده عن اكثر الامور ، ونسبه الناس الى انه خامر ، وليس ذلك بصحيح . ينظر : ابن الطقطقا : الفخري . ص 337 -338 .

3- ويد جيري ، البان . ج : المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس الى توينبي ، ترجمة ذوقان قرطوط ، دار القلم (بيروت 1972) ص 194-196 .

4- عماد الدين خليل : حوار في المعمار الكوني ، دار الثقافة (قطر 1987م) ص 116 .

5- سورة البقرة ، من الآية 251 .

6- سورة البقرة ، من الآية 30 .

7- عبد الحميد صديقي : تفسير التاريخ ، ترجمة د. كاظم الجوادي ، دار العلم (الكويت 1969م) ص 132 .

8- ينظر اخوان الصفا وخلان الوفا (القرن الرابع الهجري) رسائل اخوان الصفا ، تصحيح خير الدين الزركلي ، الطبعة العربية (مصر 1928) ج1 ص 98 ، 131 ؛ ابو نصر الفارابي , محمد بن محمد (ت 339 / 950 م): كتاب آراء اهل المدينة الفاضلة ، شرح ابراهيم جزيني ، دار القاموس الحديث (بيروت لا ت) ص 98-105 ؛ مسكويه ، ابو علي الخازن احمد بن محمد (ت 421 – 1030 م): تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تصحيح هـ . ف . (امدروز) شركة التمدن الصناعية (مصر 1914 م) ج2 ص 158 ، 404 ، 409 .

9- سورة الاحزاب ، الآية 72 .

10- ينظر : اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية ، ترجمة احمد الشيباني ، دار الحياة (بيروت 1964م)ج1 ص 36 ،37 (كل الكتاب)

11- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1406م) : مقدمة ابن خلدون ، دار القلم (بيروت 1978) ص 298 – 302 .
12- المصدر نفسه ، ص 138
13- المصدر نفسه ، ص141
14- المصدر نفسه ، ص141
15- المصدر نفسه ، ص155
16- سورة الانفال ، من الآية 63
17- المصدر السابق ، ص 157
18- ينظر :ابن خلدون : المقدمة ، ص 168 -170
19- ينظر: المصدر نفسه ، ص179-180
20- ينظر : المصدر نفسه ، ص280-281
21- المصدر نفسه ، ص286
22-ينظر: المصدر نفسه ، ص292
23- المصدر نفسه ، ص302
24 المصدر نفسه ، ص 296
25- المصدر نفسه ، ص145
26- المصدر نفسه ، ص277
27- الطرطوشي ، ابو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن ايوب القرشي الفهري الاندلسي الطرطوشي ، الفقيه المالكي ، الزاهد ، المعروف بابن أبي رندقة ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة تقريبا . نشأ في طرطوشة وإليها نسب وهي مدينة في آخر بلاد المسلمين بالاندلس على ساحل البحر وهي شرق الاندلس له كتاب سراج الملوك ضمنه رؤيته لديمومة الملك توفى سنة 520 هـ / 1126م .
ينظر: ابن بشكوال ،أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578 هـ / 1183م) : الصلة في تاريخ علماء الاندلس ، تحقيق صلاح الدين الهواري المكتبة العصرية (بيروت 2003) ج2 ص 449 ؛ ابن عميرة الضبي ، احمد بن عيسى (توفي سنة 599هـ / 1202م) بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، تحقيق : د. روحية عبد الرحمن السويف ، دار الكتب العلمية (بيروت 1997 م) ص 117 / 120؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله الرومي البغدادي (ت 626 هـ / 1228م) : معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي (بيروت لا ت) مجلد 3 ص 257- 258 .
28- ينظر : ابن خلدون: المقدمة ، ص278
29- ينظر : الذهبي : تاريخ الاسلام (حوادث سنة 651 – 660 هـ) ص 260 ؛ ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج7 ص 43 -44 ؛ الشافعي العاصي : سمط النجوم العوالي ج3 ص518 ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص 465 .
30- سورة آل عمران ، من الآية 140
31- سورة الاسراء ، الآية 16
32- ينظر : الطبري ، محمد بن جرير (ت 310 هـ / 922م) : تاريخ الامم والملوك ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم (بيروت 1965م)ج 7 ص 353 - 359.
33- ينظر : المصدر نفسه ج 7 ص 479- 495
34- ينظر : المصدر نفسه ج7 ص 474 – 479 ، 501- 502
35- ينظر : المصدر نفسه ج 7 ص 539 – 609
36- ينظر : البلخي ، ابو زيد احمد ابن سهل (ت 322هـ / 933م):كتاب البدء والتاريخ ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية (بيروت 1997 م) ج 2 ص 279
37- هلال الصابئ : رسوم دار الخلافة ص 28 – 29
38- ينظر : المصدر نفسه : ص 7-9
39- ينظر : هلال الصابئ : رسوم دار الخلافة ص 22 – 26؛ الاشراف الغساني ، العسجد المسبوك ص 521 ، 524 ، 525 ، 526، 532 ، 536 ، 544، 545، 546 ، 552، 554 ، 587 ، 594 ، 604 .

40- ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص 446
41- سورة الرعد، الآية 11
42 - سورة الكهف ، الآية 49
43- ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص 484
44- ابن الطقطقا : الفخري ، ص 333
45- الاشرف الغساني : العسجد المسبوك ، ص 624 – 625
46- ينظر: الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الامم والملوك ج7 ص 369 ؛ ابن الطقطقا الفخري ، ص 144
47- ينظر:مؤلف مجهول:كتاب الحوادث،ص 214 ، 259 ، 260 ، 261 ، 269 ، 272، 273 ، 274 ، 275، 276 ، 304 ، 311، 317 ، 320 ، 321 ، 332،331، 333، 336 ، 339، 346 ؛الاشرف الغساني : العسجد المسبوك ، ص 535 ، 549 ، 554 ، 565 ، 569 ، 593 ، 608 ، 611 ، 614 ، 615 ، 616 ، 625 .
48- مؤلف مجهول : كتاب الحوادث ، 304 .
49- المصدر نفسه : ص 350 .
50- السيوطي : تاريخ الخلفاء ص 258 – 259 .
51- المصدر نفسه : ص 464 .
52- المصدر نفسه : ص 465 .
53- ابن الطقطقا : الفخري ص 338
54- ينظر : توينبي ، ارنولد : مختصر دراسة التاريخ ، ترجمة فؤاد محمد شبل مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة 1960 م) ج2 ص69، 73 ، 179 ؛ اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية ج1،ج2(كل الكتاب).
55- ينظر : مونتسكيو : تأملات في تاريخ الرومان ، اسباب النهوض والانحطاط ترجمة عبد الله العروي ، المركز الثقافي العربي (المغرب / بيروت 2011) كل الكتاب .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر

- الاشرف الغساني ، اسماعيل بن العباس بن رسول (ت 803 هـ/1400م):
1- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم ، دار التراث الاسلامي ودار البيان (بغداد 1975 م).
- البدليسي ، الامير شرف خان(ولد سنة 949هـ وانتهى تاليف الكتاب سنة 1005هـ) :
2-شرفنامه, ترجمة محمد جميل الملا احمد الروز بياني ، مؤسسة موكرياني ط2 (اربيل 2001 م).
- ابن بشكوال ،أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578 هـ / 1183م) :
3- الصلة في تاريخ علماء الاندلس ، تحقيق صلاح الدين الهواري المكتبة العصرية (بيروت 2003 م).
- البلخي ، ابو زيد احمد ابن سهل (ت 322هـ / 933م):
4- كتاب البدء والتاريخ ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية (بيروت 1997 م) .
- ابن تغري بردى ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت 874هـ / 1469 م) :
5- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية (بيروت 1999 م).
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1406م) :
6- مقدمة ابن خلدون ، دار القلم (بيروت 1978 م).
- اخوان الصفا وخلان الوفا (القرن الرابع الهجري):
7- رسائل اخوان الصفا ، تصحيح خير الدين الزركلي ، الطبعة العربية (مصر 1928 م).
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748 هـ / 1444م) : 8- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام تحقيق د . عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ط2 (بيروت 2002 م).
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ / 1505 م) :
9- تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الشرق الجديد ، بغداد / دار العلوم الحديثة (بيروت 1952 م) .
- الشافعي العاصي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت 1111 هـ / 1699 م) :
10- سمط النجوم العوالي في ابناء الاوائل و التوالي ، تحقيق عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية (بيروت 1998 م) .
- الصابئ ، ابو الحسين هلال بن المحسن (ت 448 هـ/ 1056م):
11-رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، دار الرائد العربي (بيروت 1986 م).
- الطبري ، محمد بن جرير (ت 310 هـ / 922م) :
12-تاريخ الامم والملوك ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم (بيروت 1965م).
- ابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709 هـ / 1309 م)
13- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر (بيروت لا ت).
- ابن العبري ، غريغوريوس ابو الفرج بن هارون (ت 685 هـ/ 1286م) : 14-تاريخ مختصر الدول ؛ دار الرائد اللبناني (بيروت 1983م).
- ابن عميرة الضبي ، احمد بن عيسى (توفي سنة 599هـ / 1202م) .
- 15-بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، تحقيق : د. روحية عبد الرحمن السويف ، دار الكتب العلمية (بيروت 1997 م) .
- ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل (ت 732 هـ / 1331 م) :
16- المختصر في اخبار البشر (تاريخ ابي الفدا) دار المعرفة (بيروت ،لا ت).
- مسكويه ، ابو علي الخازن احمد بن محمد (ت 421 – 1030 م):
17-تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تصحيح هـ . ف . (امدروز) شركة التمدن الصناعية (مصر 1914 م).
- مؤلف مجهول (ت القرن الثامن الهجري) :

18-كتاب الحوادث (وهو الكتاب المسمى وهماً بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة والمنسوب لابن الفوطي ، تحقيق ، د.بشار عواد معروف و د. عماد عبد السلام رؤوف (قم 1383 هـ).
- ابو نصر الفارابي , محمد بن محمد (ت 339 / 950 م):
19- كتاب آراء اهل المدينة الفاضلة ، شرح ابراهيم جزيني ، دار القاموس الحديث (بيروت ،لا ت).
- ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت 749 هـ / 1445 م) :
20-تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية (بيروت 1996 م).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله الرومي البغدادي (ت 626 هـ / 1228م) :
21-معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي (بيروت ،لا ت) .

المراجع العربية والمعربة

- اسوالد اشبنغلر :
1- تدهور الحضارة الغربية ، ترجمة احمد الشيباني ، دار الحياة (بيروت 1964م).
- توينبي ، ارنولد :
2- مختصر دراسة التاريخ ، ترجمة فؤاد محمد شبل مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة 1960 م).
- عبد الحميد صديقي :
3- تفسير التاريخ ، ترجمة د. كاظم الجوادي ، دار العلم (الكويت 1969م).
- عماد الدين خليل :
4- حوار في المعمار الكوني ، دار الثقافة (قطر1987م).
- مونتسكيو :
5- تأملات في تاريخ الرومان ، اسباب النهوض والانحطاط ترجمة عبد الله العروي ، المركز الثقافي العربي (المغرب / بيروت 2011 م) .
- ويد جيري ، البان . ج :
6- المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس الى توينبي ، ترجمة ذوقان قرطوط ، دار القلم (بيروت 1972 م).